



أثر الحمامات في الحياة العامة في المدينة العربية الإسلامية

وانعكاساتها على الواقع الصحي

أ.د. سعدي ابراهيم الدراجي

مركز احياء التراث العلمي العربي- جامعة بغداد

المستخلص

يسلط البحث الضوء على الحمامات في المدينة العربية الاسلامية، واثرها في الحياة العامة. اذ لم تخل حضارة من هذه الظاهرة، ولا سيما الحضارة العربية اذ تشير معظم المراجع الى وجودها في الحواضر العربية في عهود غابرة سبقت ظهور الاسلام، ثم تطورت في العصرين الاموي والعباسي، وأصبحت جزءا من التخطيط الحضري للمدينة العربية الاسلامية تقام في الاسواق القريبة من المسجد الجامع، كما تقام في الحارات. وتخضع هندستها وتخطيطها الى قواسم مشتركة تتمحور حول ثلاث قاعات هي الباردة والدافئة والساخنة. ان كثرة الحمامات في المدن هو دليل على التطور الاجتماعي والاقتصادي لتلك المدن، وان الاهتمام بهذه المنشآت لا يعود لأسباب دينية تتعلق بالنظافة والطهارة وحسب، وإنما لعوامل كثيرة منها: الاستثمار، وتشجيع اصحاب السلطة، وعلاقتها بالأوقاف المحبوسة على المنشأة الدينية، وعرفت الحمامات كدور شفاء لمختلف الامراض والعلل. الكلمات المفتاحية: الحمامات ، المدينة العربية ، العمارة الاسلامية.

The effect of baths in public life in Arabic Islamic city with reflect on health situation

Prof. Dr. Saadi Ibrahim Al Darraji

**Center of revival of Arabian science heritage- Baghdad university
saadiib@yahoo.com**

Abstract

The research sheds light on baths in Arabic Islamic city and its effect on public life that every civilization contain this phenomenon specially Arabic one , many Arabic sources signs to Arabic recent through pre-Islamic centuries then , it had developed through two Amway and Abbasid centuries as well as it became part of civil planning for the Arabic Islamic city sited in the nearest market of mosque as it sited in towns , it planned by division around three halls ,cool, warm and hot .

The most baths in cities is a guide on social ,economic developing for these cities , the importance of this organizations dose not return to religious reasons related to cleaning , but return to more ones as ,investment , and encouraging the authority owners as a role of recovering various types of sick .

Key words: baths, Arabic city, Islamic architecture.

المقدمة

لا شك إن تاريخ الحمامات مرتبط بموضوع الاغتسال أو النظافة التي لازمت الإنسان منذ أن بدأ يتجه نحو الاستقرار والبناء وترتيب حياته الاجتماعية وممارسة طقوسه الدينية. كما ارتبط تاريخ الحمامات بتوفير المياه من مصادرها الطبيعية. ويبدو أن الحمامات في الحضارات القديمة كانت حكراً على قصور الموسرين، أما عامة الشعب فكانوا يسبحون بالأنهار والقنوات أو في أحواض خاصة تقام في منازلهم وفي الأيام الباردة يمكن تهيئة حمام بخاري من خلال تمرير المياه فوق أحجار ساخنة في حجرة مغلقة مع الاعتماد على بعض الأدوات واللوازم الفخارية الخاصة بالتنظيف^(١).

وعرفت الحمامات العامة في الحضارة الإغريقية وانتشرت في المدن الكبيرة ومنها أثينا التي كانت تضم حمامات فخمة تغنى بها الشعراء وذكرها الأدباء وتأثر بها الرومان فيما بعد وطوروها حتى أصبحت جزءاً من وسائل اللهو والمتعة لعامة الشعب شأنها في ذلك شأن المسارح والملاعب وحلبات السباق.

وغني عن البيان ذكر الحمامات الرومانية التي كانت تخضع لقواسم مشتركة في التخطيط نواته ثلاث وحدات هي القاعة الباردة (Frigidarium) والقاعة الدافئة (Tepidarium) والقاعة الساخنة (Caldarium)، وقد أضاف الرومان إليها مبان جديدة فخمة وزودوها بأحواض الماء الساخن والفاتر والبارد، وملاعب رياضية مغلقة ومطاعم وحانات وقاعات للمحاضرات العامة والمطالعة ومكتبة ودهاليز مزودة بتماثيل ولوحات منقوشة وتحف تذكارية^(٢).

ومن الطبيعي أن يكون الحمام من بين المنشآت المعمارية التي تتعدد الآراء بشأن أصلها، ففريق يرى أن الحمام في المدينة الإسلامية هو الحمام اليوناني القديم الذي يسمى الثرما (Therma)، وآخر يرى أن الحمامات الإسلامية مشتقة عن الحمامات الرومانية التي أثرت فيها مباشرة أو عن طريق الحمامات البيزنطية أو السورية في القرون الأولى للميلاد.



وبقينا أن الحمامات الإسلامية قد تأثرت بالحمامات الرومانية وتقسيماتها الداخلية لكن الصياغة النهائية لها قد خضعت للتقاليد والعادات وما تمليه الشريعة الإسلامية لذلك فهي تختلف عنها في الهدف وفي مراعاة القيم الإسلامية لاسيما فيما يتعلق بالفصل بين أقسام النساء والرجال وإنشاء الخلوات الصغيرة وطهارة الماء^(٣).

وسرعان ما شاعت الحمامات في العصر الإسلامي حتى أصبحت مؤسسات ذات أهمية اقتصادية واجتماعية فاعلة، وشكلت في فترة لاحقة جانبا من نسيج المدينة الحضري والعمراني. لذلك لا غرو أن يعدها ابن خلدون من المؤسسات الحضارية المرتبطة بالمدن الكبيرة والأمصار المستحضرة الكثيرة العمران التي ترفل بالغنى من النعم^(٤).

وأقدم الإشارات التاريخية عن الحمامات الإسلامية في العصر المبكر ترد من الفسطاط التي بنى فيها عمرو بن العاص حماما صغيراً أطلق عليه (الفار)^(٥). وقد سمي بهذا الاسم لصغر مساحته، مقارنة بالحمامات الرومانية^(٦). كما ينسب الى عمرو بن العاص حمام آخر في مدينة جراوة الجزائرية القريبة من تلمسان، وكان فيها خمس حمامات كما يذكر البكري^(٧).

من الطبيعي أن يشرف المحتسب على الحمامات في المدينة العربية الإسلامية، ويراقب أدائها، وينظم شؤونها، على وفق التوجيهات الصادرة من دار الخلافة، ففي شعبان سنة (٤٦٧هـ) صدرت قرارات كثيرة في بغداد من الخليفة العباسي المقتدي بالله، منها ما يخص الحمامات، إذ أمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات، ومنع أصحابها أن يصرفوا فضلاتهم إلى دجلة، وألزم أربابها بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب^(٨). وعندما تحدث ابن الجوزي عن القاضي المحتسب ابن الخرقى (ت ٤٩٤هـ)، ذكر شدته وكيف كان الباعة المتعاشون يخافونه، فهو الذي منع قُوام الحمامات أن يمكنوا أحداً من دخولها بغير منزر، وتهدهم على ذلك بالإشهار^(٩). وكذلك فعل الفاطميون في مصر "ففي السابع من محرم سنة (٣٩٥هـ) قرأ سجل في جوامع القاهرة وضرب في الطرقات بالأجراس ونودي ألا يدخل الحمام أحد إلا بمنزر"^(١٠). وبغصد تطبيق هذا القرار كانت الحمامات تُكبس بين الحين والآخر فيؤخذ منها من كان بدون منزر ويشهر بهم في الطرقات^(١١).

أما عن إدارة الحمام فالأمر قد لا يختلف كثيراً عما كان عليه الحال في العصر العباسي والعصور المتأخرة فالصابي عندما تحدث عن حمامات بغداد قدر أنه كان يشرف



على كل حمام فيها ستة أشخاص هم: صاحب الصندوق، والقيم، والوقاد، والزبال، والمزين، والحجام^(١٢).

أثر الحمامات في الحياة العامة:

من المعروف أن الحمامات من المنشآت الخدمية التي تسدي للسكان في المدينة الإسلامية منافع مباشرة، وقد كثر إنشاؤها لعوامل عديدة أهمها الحاجة الوظيفية المرتبطة بالنظافة والطهارة. التي حث عليها القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى في سورة الأنفال "ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به...."^(١٣) أو اتباعاً لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل في باب الطهارة أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال "لا تقبل صلاةً بغير طهورٍ ولا صدقةً من غُلُولٍ...."^(١٤).

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الحمامات في المدينة الإسلامية هو عدم قدرة العامة جميعاً على تضمين منازلهم حمامات خاصة، فضلاً عن إقبال الأغنياء على بنائها بقصد الاستثمار بوصفها مؤسسات تدر على أصحابها أرباحاً وفيرة لدوام الطلب عليها من قبل معظم الناس على اختلاف طبقاتهم^(١٥). وفي هذا السياق يذكر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) أن حمام (مسلم بن أبي بكر) المبني في البصرة خلال العصر الأموي كان يغل في اليوم الواحد ألف درهم^(١٦). وكذلك المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) عندما تحدث عن منشآت الفسطاط في القرن السادس الهجري ذكر حمام (جنادة) في القرافة، الذي ما كان يتوصل إليه إلا بعد عناء من شدة الزحام "وأن قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم"^(١٧) لذلك لا غرو أن تأتي الحمامات على رأس المنشآت الخدمية التي تحبس على المباني الدينية والمدنية المبنية لإدامة بقائها سعياً للخير والثواب - كالمساجد والربط والزوايا والمدارس والبيمارستانات والأسبلة - التي يتطلب إنشاؤها واستمرارها أوقافاً كثيرة تدر ريعاً يصرف منه على أصحاب الوظائف بها وعلى ترميمها وتجهيزها أو إعادة تعميرها^(١٨).

ولا شك أن ارتفاع قيمة ضمان الحمامات يدل على انتعاش موارد هذه المنشآت ويعكس في الوقت نفسه ارتفاع أجورها وفخامة بنائها ونظافتها، كما أنه يفصح عن طبيعة الحياة الاقتصادية للمدينة أو الدولة ومقدار نسبة دخول الأفراد فيها لحقبة تاريخية معينة، فالمقرئ استعرض أوقاف المدرسة الناصرية التي اكتمل إنشاؤها سنة (٧٠٣ هـ - ١٣٠٣ م) وكان من بينها حماما (الشيخ خضر) أحدهما للرجال والآخر للنساء وموضعهما بظاهر



القاهرة وأجرتها في كل شهر خمسون وخمسمائة وألف درهم^(١٩)، وهو بلا ريب ريع منخفض إذا ما قورن بواردات حمامي مسلم بن أبي بكر أو جنادة السالف ذكرهما. ومن الطبيعي أن تكون الأجور في بعض الحمامات مناسبة لاسيما القديمة منها، أو تكون منخفضة الأجور بسبب تواضع خدماتها وانعدام سبل الراحة فيها؛ وبصورة عامه فإن أجور الاستحمام في الحمامات العامة تحددها أمور كثيرة منها الفخامة والشهرة والنظافة، فضلا عن مقدار الضريبة التي تفرضها الدولة والتي تكون مرتفعة جداً في بعض الأحيان. وبهذا الخصوص تحدث الرحالة الإنكليزي جون فرنسيس ليون عن الأجرة في حمامات طرابلس الغرب عام ١٨١٩م وكانت تعادل ما قيمته خمسة بنسات وهو مبلغ كبير نسبياً إذ لم تشمل الأجرة ثمن الصابون^(٢٠).

وهناك عوامل أخرى ساعدت على انتشار الحمامات في المدينة العربية الإسلامية، منها اهتمام أصحاب السلطة بها، إذ تذكر المصادر أن عدداً من الحمامات قد شيد بأمر الخلفاء والسلطين والولاة والقضاة، مثل حمامي أحمد ابن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ) الملحقين بمارستانه بالعسكر^(٢١)، وحمام (الصوفية) الذي أنشأه صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ) في القاهرة^(٢٢)، وحمام (قتال السبع) الذي اشتراه الأمير قوصون وأعاد بناءه من جديد بعد أن حل أحد قضاة القاهرة وقفه القديمة بحجة أنه خربة وآيل إلى السقوط بناءً على شهادة الشهود^(٢٣)، كما بنى قوصون سنة (٧٣٦هـ) حماماً آخر بجوار جامع الكائن بباب القرافة^(٢٤)، وبنى الأمير بشتاك (ت ٧٤٢هـ) الذي تقلد عدة وظائف في عهد الناصر محمد بن قلاوون منشآت في القاهرة من بينها حمام بسوق السلاح^(٢٥)، وكان الملك المؤيد شيخ (ت ٨٢٤هـ) مغرمًا في العمارة فأنشأ في مصر والشام مبان كثيرة لم يبق منها في القاهرة سوى بقايا سبيل ومصلى في القلعة والبيمارستان بالمحجر والحمام بشارع تحت الربع فضلاً عن مسجده الشهير^(٢٦) وأنشأ السلطان قايتباي في الشام عدة منشآت منها حماماً متميزاً استحم به السلطان العثماني سليم عند دخوله دمشق سنة (٩٢٢هـ). وفي عام (٩٠٦هـ) شهدت دمشق بناء حمامين جديدين بقصد الاستثمار وقد فرغ منهما سريعاً، أحدهما لقاضي الشافعية والآخر لزوجة تقي الدين قاضي عجلون^(٢٨)، وفي (٢٥ شوال عام ٩٠٨هـ) فرغ من بناء الحمام الذي شرع قاضي الحنفية محب الدين بن قصيف في بنائه بدمشق^(٢٩)، ومن الحمامات المشيدة بأمر الولاة في طرابلس (الحمام الصغير) وقد بني في مطلع القرن السابع عشر ليكون وقفاً



على سور المدينة وتحصيناتها الدفاعية. وكذلك (الحمام الكبير) الذي بناه عثمان باشا الساقزلي سنة (١٠٦٩هـ) وجعله وقفاً على مدرسته، وحمام (الحلقة) المعروف بحمام شيخ البلد^(٣٠) نسبة إلى مالكه (علي القرقي) الذي كان يشغل هذا المنصب في العصر العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١م).

ولم يقتصر بناء الحمامات على الحكام والتجار فحسب بل تعداه إلى العلماء ومنهم على سبيل المثال خالد بن يزيد الناهض في الطب والبارع في صناعة الأدوية، وقد شيد حماماً بجانب داره بقرطبة وكان كاسياً في الأموال والعقار^(٣١). والحقيقة ليس القصد من ذكر هذه الأمثلة الإتيان على كل الحمامات التي شيدها أهل السلطة في المدينة العربية الإسلامية لأنها جُذ كثيرة، إنما القصد منها هو البرهان على أهمية الموضوع.

وإذا كانت مصادرنا العربية لا تتحدث بإسهاب عن الحمامات وقت الرخاء فأنها كثيراً ما تتحدث عنها وقت البلاء، لاسيما عند ذكر الحروب والكوارث الطبيعية كالحرائق والفيضانات، ففي سنة (٣٣٢هـ) شهدت بغداد أمطار غزيرة فتعطلت على اثرها الحمامات والمساجد والأسواق، ومن جرائها خربت المنازل ومات خلق كثير تحت الهدم^(٣٢). كما شهدت منازل بغداد وحماماتها في سنة (٣٦٢هـ) حرائق راح ضحيتها رجال ونساء وصبيان وأطفال وأموال عظيمة^(٣٣). كما تعطلت الحمامات في بعلبك سنة (٧١٧هـ) إثر السيول المسرفة، إذ دخل الماء إلى جامع المدينة وخرّب حيّطانه وقد بلغ السيل الى رؤوس العمد، وكذلك دخل السيل المذكور الحمامات، وغرق فيها جماعة من الرجال والنساء والأطفال، وذهب للناس بذلك أموال عظيمة، كما خرب السيل الدور والاسواق^(٣٤). وشهدت حمص في التاسع من محرم عام (٧٣٥هـ) سيل عظيم غرق بسببه خلق كثير ولحق بالناس ضررٌ عظيم، إذ "مات نحو مائتي امرأة بحمام النائب، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعاً"^(٣٥) وفي شتاء عام (٨٩٦هـ) تواترت الأمطار على دمشق في الليل والنهار فغرقت معظم منشآت المدينة أو تضررت ومنها حمام (كفر سوسيا) وحمام (الكحال) وقد بلغ الماء في الأخير حد مصاطبه^(٣٦).

وأحياناً تتعرض الحمامات إلى الهدم بفعل فاعل ومنها على سبيل المثال حمام (الملك السعيد) الواقع بظاهر باب النصر، ولم يكن في دمشق أحسن منه، خرّبه السلطان الملك الأشرف الخليل بن المنصور قلاوون في عام (٦٧٠هـ)^(٣٧). وقد أتى ابن طولون (ت ٩٥٣هـ)



على ذكر حمامات دمشق القائمة منها والمزالة بأمر السلاطين والحكام وأهمها حمام (الصحن) الذي يقع شرقي الجامع الأموي حيث هدم في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وأصبح بيتاً لكبار القوم^(٣٨)، وفي عام (٨٩٥هـ) نقض حمام (الزين) وما حوله بعد أن كشف عنه قاضي الشافعية، وكان له ذكر في التاريخ لأنه من الحمامات القديمة في دمشق ويقع بدرب الحجر شرقي كنيسة مريم^(٣٩)، وعندما همّ السلطان سليم بتعمير ضريح المحيوي بن العربي طلع في ٢ شوال عام (٩٢٣هـ) ليرى ما هندس من العمارة، فأمر بشراء حمام (الجورة) من ناظره بمائة دينار ليوسع به وكان لصيق التربة ووقف عليها^(٤٠). وفي عام (٩٢٦هـ) أزال نائب دمشق حمام (تنكز) وجعله بستاناً^(٤١)، وهو حمام قديم كان معروفاً بدمشق أنشأه الأمير تنكز اتجاه جامعہ وافتتحه في يوم الخميس الموافق التاسع عشر من جماد الآخر عام (٧٢١هـ) "واكري في كل يوم بأربعين درهماً لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه"^(٤٢).

وتغلق الاسواق وتعطل الحمامات عند الحوادث الكبرى والمصائب الجسام، اذ تعطلت الحمامات في بغداد في سنة (٦١٢هـ) عند وفاة علي ابن الخليفة الناصر لدين الله العباسي الذي لقبه ابوه بالملك المعظم^(٤٣). وتعطل الحمامات كذلك ايام الفتن والاضطرابات التي تحدث في المدن ومثال ذلك ما حدث في دمشق سنة (٨١٥هـ)، حيث فتن المماليك وتقاتلوا فيما بينهم في زمن الملك الناصر، فتعطلت الحمامات وأغلقت الاسواق واشتد الأمر على أهل دمشق، واقتتلوا قتالا شديداً، وتراموا بالسهم والنقّوط، فاحترق أبنية عدّة^(٤٤).

والحمامات عرضة للضرر أثناء الحروب فالتاجر حسن (ت ١٢٨٤هـ) في يومياته يحصي الإصابات والأضرار التي لحقت بالأبنية من جراء الفتنة التي أدت إلى حرب أهلية عمت طرابلس الغرب في منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وقد قامت الحرب بين جهتين كلاهما مزود بالمدافع مما أدى إلى هلاك بعض الناس داخل المدينة وضرر بعض أبنيتها، ومن جملة الأبنية المتضررة الحمام الصغير وقبة الحمام الكبير^(٤٥).

وبشأن الوظيفة فلم تكن الحمامات مخصصة للاغتسال والنظافة فقط بل تعدتها إلى الراحة والاستجمام والشعور ببهجة الحياة، فهي ملقّى الناس على اختلاف ثقافتهم سواء أكانوا من أهل المدينة أم غرباء يقضون فيها بعض الأوقات يتبادلون خلالها الأحاديث ويتناقلون



الأخبار والأشعار، ويسمعون من بعض روادها الطرائف والفكاهات^(٤٦) شأنها في ذلك شأن الخانات التي تأوي المسافرين وتقوم على خدمتهم؛ ولعل من أسباب تعلق أهل الأندلس بالاستحمام هو أن الحمام عندهم أصبح مركزاً للاجتماعات المرحية والأنس واللهو والغناء، تتكسر فيه أغلال التقاليد ويتنفس فيه الرجال والنساء معنى الحرية، وربما لهذا السبب كان شعراء الأندلس كثيراً ما يذكرون الحمام في أشعارهم وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله:

ومنزل أقوام إذا ما تقابلوا تشابه فيه وغده ورئيسه

ينفس كربى إذ ينفس كربه ويعظم أنسى إذ يقل أنيسه^(٤٧)

وقال أبا جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالأعمى الشاعر في وصف إحدى الحمامات الأندلسية :

يا حسن حمامنا وبهجته مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحرز^(٤٨)

وعرفت الحمامات كدور شفاء لمختلف الأمراض والعلل، لاسيما العلاجية منها التي توظف في استغلال المياه الكبريتية الساخنة لعلاج الأمراض الجلدية وأشهرها حمامات بورصة في تركيا وحمامات المجر ودول البلقان^(٤٩). كما يوجد مثل هذه الحمامات في بعض المدن العربية القديمة ومنها مدينة طبرية في الاردن، وهي تقوم على بحيرة عظيمة، فيها جبل يخرج من أسفله نهر، وفيها حمة تخرج منها قنوات إلى الحمامات، لذلك كانوا لا يحتاجون إلى تسخينها^(٥٠). ويذكر المقدسي (ت ٣٨٠هـ) فيها ثماني حمامات بلا وقيد^(٥١)، تأخذ ماؤها من عين تغلي، وقد شق لكل حمام منها نهر، فبخاره يحمي البيوت^(٥٢) وكذلك مدينة تفليس الجورجية (تفليس) التي كانت مسورة بسورين من طين فيها حمامات كحمامات طبرية ماؤها ساخن من غير نار^(٥٣). وقد اقيمت على عيونها الحارة حمامات استغنت عن استسقاء الماء^(٥٤). كما توجد بالقرب من مدينة مليانة المغربية حمامات بنيت على عيون عذبة الماء حارة يستحم بها من شاء^(٥٥).

وفي ليبيا فلم يقتصر وجودها على المناطق الصحراوية البعيدة وبعض الواحات في فزان، كهون وزلة وسوكنة وغات ومنطقة شويرف وجبل الحساونة ووادي بي..... فحسب بل تعداها إلى المناطق القريبة مثل تاجوراء والعجيلات والعسه وزمزم. ومعظمها عيون تقتقر إلى



النظافة والخدمات، لهذا لا غرو أن تتجه أنظار الطرابلسيين في العصر العثماني إلى دول الجوار، وأقربها تونس المعروفة بحماماتها العلاجية منذ القدم. حيث تشير الوثائق المحلية إلى سفر بعض الشخصيات الطرابلسية أو ممن كانت لهم مكانة اجتماعية أو مناصب إدارية وسياسية في العصر القرمانلي (١٧١١-١٨٣٥م) فضلا عن الموسرين، إلى حمامات تونس بقصد العلاج. ففي شهر ذي الحجة من عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) سافر رئيس البحرية قاصداً حمام (الأنف) القريب من العاصمة تونس^(٥٦)، وكانت "عيونه تعرف بالحمة لشدة سخونتها، وهي موصوفة بإبراء ذوي العاهات، يطلبون الجلوس على مائها للتداوي"^(٥٧). وفي السنة التالية سافر شيخ البلد إلى الحمام نفسه بقصد العلاج أيضاً^(٥٨). وتذكر الوثائق حمام آخر كان يؤمّه الليبيون في هذا العصر للعلاج هو حمام (قربص) وقد وصف بأنه فيه عيون ماء كثيرة تميزت بمفعولها الصحي^(٥٩). كما توجد حمامات معدنية كثيرة في مصر منها حمامات حلوان التي يؤمها عدد كبير من المصابين ببعض الأمراض الجلدية للاستحمام فيها من أجل الشفاء. كما توجد عيون معدنية في معظم بقاع الوطن العربي ومنها الجزائر والمغرب وكذلك في السعودية^(٦٠). أما في العراق فتركز معظم العيون المعدنية الطبية في دهوك والسليمانية واربيل وكركوك والموصل، وهي كثيرة يقصدها الناس للعلاج وأشهرها حمام العليل الواقع على ضفاف دجلة جنوب شرق الموصل. والينابيع المعدنية الحارة الواقعة غرب الفرات في محافظة الانبار ومنها ينابيع الحقلانية وكبيسة^(٦١).

ولم تكن الحمامات في المدينة الإسلامية حكرًا على العامة والفقراء، بل تعدتهما إلى السلاطين والأمراء والمسؤولين في الدولة، طمعا بالشفاء من سقم أو على إثر العودة من سفر، كما فعل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد عند زيارته للموصل^(٦٢)، أو كما فعل الأمير أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) وكان كثير السفر يتنقل بين مدن الشام، فلما وصل صور دخل مع غلمانة أحد حماماتها بقصد الراحة والنظافة^(٦٣). وكذلك كان يفعل أمراء المماليك في الشام أو ضيوفهم القادمين من بلدان أخرى ومنهم الأمير محمد بن جم بن السلطان مراد بن محمد بن عثمان الذي أتى حلب بعد موافقة قايتباي في عام (٨٨٦هـ)، وكان فاراً من أخيه السلطان بايزيد، ثم سافر إلى دمشق وبرفقته مائة شخص، حيث استُقبل هناك بمراسيم مهيبة بعدها توجه إلى حمام (الحاجب) بصالحيتها^(٦٤). ومن الحمامات التي كانت تستقطب المسؤولين في



دمشق حمام (القاضي الشافعي الجديد) المبني في عام (٩٠٦هـ)^(٦٥)، وقد زاره نائب دمشق في السنة التالية، وضيافته في هذا الحمام كانت هائلة^(٦٦).

وفي يوم السبت مستهل رمضان عام (٩٢٢هـ) أحلت العثمانيون دمشق بقيادة السلطان سليم خان الذي جاءها على رأس جيش كبير لا قبل للمماليك بصدده فسلمت له مفاتيح المدينة دونما قتال، وقد سجل ذلك شاهد عيان من أهل دمشق الأحداث اليومية التي شهدتها المدينة خلال الاحتلال وتابع أفعال السلطان، ومن ضمنها دخوله حمام (الحموي)^(٦٧) الكائن بعمارة قايتباي، وكان ذلك يوم الخميس الموافق السادس من شهر رمضان، أي بعد وصوله دمشق بستة أيام، وبرفقته موكب عظيم يضم حراسه ومماليكه وعسكره، وقد وصف السلطان سليم بالكرم والسخاء حيث أعطى لمن حلق له لحيته خمسمائة درهم ومثلها لمعلم الحمام^(٦٨).

ولاشك إن أصحاب السلطة كانوا على اختلاف مراتبهم يرتادون الحمامات المتميزة بفخامة بنائها وجليل خدماتها، وهم يعاملون فيها معاملة خاصة احتراماً لمكانتهم الاجتماعية ومراكزهم الإدارية أو طمعاً ببعثاتهم، وفي هذا السياق يصف المقرئ دخول صاحب الخراج بمصر أبى زنبور الماذرائي (ت ٣١٧هـ) في عهد الدولة الطولونية حمام (حمدييه) وكيف أعد له صاحب الحمام عند خروجه بغلة مسروجة ملجمة وهو أخذ بركابها، وعدد من الغلمان يحملون مدخنة وماء ورد وغالية ومشط ومراة^(٦٩). فإذا كان الأمر هكذا مع صاحب الخراج فكيف يكون الأمر إذن مع الخلفاء والولاة والوزراء؟

ويستفاد من الحمامات في تغسيل الموتى أحياناً، لاسيما المنقطعين وأبناء السبيل أو ممن لم يكن له أهل أو وارث، ومثال ذلك لما مات العالم المحدث أبو جعفر محمد بن يوسف بن التركي في سنة (٢٩٥هـ) غسل في حمام وكان قاضي بغداد قد وجه جماعة من شهوده، فتولوا تجهيزه، فأخرج من منزله في عباءة خلقه ولم يظهر له غيرها^(٧٠).

وطالما شهدت الحمامات حوادث سرقات بعضها اختص بالملابس والمناشف والأحذية والبعض الآخر اختص بالنقود، وهو أمر طبيعي لأن الحمامات أماكن عامة معدة لاستقبال الزبائن من كل الأطياف، سواء أكانوا من سكان الحي أم طارئین من الأرياف أم غرباء من مدن وأقاليم بعيدة؛ وحوادث سرقة الحمامات في مصادرنا العربية كثيرة، فبعضها يتزامن مع الكوارث الطبيعية وانتشار الأمراض كما حدث في حمامات بغداد سنة (٤٧٨هـ)،



إذ سرقت ثياب الناس منها اثر بدء انتشار الطاعون فيها^(٧١). وسرقت حمامات بغداد في سنة (٥٣٦هـ)، إذ ظهر في هذا العام من "العيارين ما حير الناس، وذاك أن كل قوم منهم احتموا بأمر فأخذوا الأموال وظهروا مكشوفين، وكانوا يكبسون الدور بالشموع، ويدخلون الحمامات وقت السحر فيأخذون الأثواب"^(٧٢). ولعل أطرف ما قيل عن السرقة في الحمامات العامة هو ما ذكره الشاعر محمد ابن سكرة الهاشمي، الذي دخل حمام بن موسى في دمشق فُسرق مداسه فخرج منه حافياً فتذكر الزاهد الكبير (بشر الحافي) وقال في ذلك أبيات ظراف:

إليك أذم حمام ابن موسى وإن فاق المنى طيباً وحرا
تكاثر اللصوص عليه حتى ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوباً ولكن دخلت "محمداً" فخرجت "بشرا"^(٧٣)

ولم تكن حمامات النساء في منأى عن السرقة بل هي في ذلك أدهى وأمر، فالسرقات فيها طالت جميع الحاجات التي تعودت النساء أن يحملنها إلى الحمام، كالملابس والأحذية وأدوات الزينة والعطور، ومن هنا نشأت عادة إيداع الأشياء الثمينة لدى المسؤول عن إدارة الحمام (معلم أو معلمة) ومنها النقود والحلي، لتحفظ في صندوق خاص (خزنة) فيه أدراج محكمة بأقفال وعليها أرقام يستطيع الحمامي بواسطتها معرفة أصحاب الأمانات على وجه الدقة. ففي السابع من شهر رمضان عام (٧٤٦هـ) قطعت يد امرأة في باب زويلة بالقاهرة بعد أن ضربت على ساقها بالمقارع لسرقتها بعض الحاجات من حمام (الأدميري)^(٧٤).

والسرقة في حمامات النساء تتعدى أحيانا اللوازم والحاجات إلى الأطفال حديثي الولادة أو تبديلهم، إذ جرت العادة في معظم المجتمعات العربية أن تؤخذ النفساء مع رضيعها إلى الحمام بعد أيام من ولادتها كي يدهن جسمها بمزيج يستحضر من بعض الأعشاب والنباتات الطبيعية، وتعرق على دكة بيت النار كنوع من العلاج بقصد إعانتها على استرداد عافيتها وزيادة حليبها. أما الأطفال فيكونوا عادة في الحجرة الدافئة لعدم قدرتهم على تحمل الحرارة، وهنا تتحين بعض النساء الفرص لتبديل وليدتها بذكر ثم تخرج. ليس هذا فقط بل في بعض الأوقات تجد المعلمة نفسها أمام أمر أصعب حين تترك لها إحدى الأمهات وليدها أو ابنتها هروبا من العار أو خوفا من الأهل أو المجتمع^(٧٥).

والحمامات أيضا عرضة لعمليات النصب والاحتيال، فابن طولون يصف في حوادث شهر جمادى الأولى من عام (٨٩٥هـ) أحوال مدينة دمشق بعدما دخلها عسكر المماليك

المصرية وكيف عمت الفوضى والزحام في شوارعها فتخوف الناس فلزموا منازلهم وأغلقت المحال التجارية. أما حمامات المدينة فبقيت أبوابها مشرعة تستقبل من يروم النظافة والاعتسال ومنها حمام منصور الذي دخله مملوك "قأمر الصانع أن يحلق رأسه ويدلكه ويغسله وأطال المكث، ثم خرج فادعى انه بجيبه مائة دينار سرقت، فلم يزل بالحاضرين حتى أخذ منهم ثلاثمائة (كذا) درهم...." (٧٦).

وتصبح بعض الحمامات مسرحاً للقتل والجرائم، إذ يذكر الخطيب البغدادي حادثة مقتل أبا العباس الفضل بن سهل المعروف بذي الرئاستين في أحد حمامات مدينة سرخس (٧٧) الإيرانية سنة (٢٠٢هـ)، وقد غدر به نفر في الحمام فقتلوه، فقتل به أمير المؤمنين المامون مجموعة من الرجال (٧٨).

وفي الأندلس اتخذت بعض الحمامات مسرحاً للجرائم السياسية والغدر، فقد احتال صاحب اشبيلية المعتضد بالله بن عباد سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) على طائفة من رؤساء أعدائه البربر حتى زاروه ومعهم مئتا فارس منتخبين خرجوا بأحسن زي وأجمل مَرَأَى قد ركبوا الخيول المسومة وتقلدوا السيوف المحلاة فأكرمهم ثم قبض عليهم وسجنهم في حمام (الرقاقين) حتى هلكوا جميعاً (٧٩).

وتُهيأ حمامات المدينة لاستقبال الجيوش إثر عودتها من المهام الرسمية، وأحياناً تُهيأ لاستقبال الجيوش الصديقة قبيل وصولها، كما هو الحال في حمامات طرابلس التي أعدت للجيش العثماني الذي أبحر في ١٤ مايو عام (١٨٣٥م) بأسطول تركي مكون من اثنتين وعشرين سفينة إلى ميناء طرابلس (٨٠). وكان (علي الثاني) آخر أمراء السلالة القرمانلية قد نظم حملة لتنظيف شوارع المدينة وأوعز إلى وكيل الأحباس فيها بصيانة وترميم الحمام الكبير والحمام الصغير ظناً منه أن الجيش العثماني جاء لنصرته لا لاعتقاله وعزله (٨١).

وفيما أعلم لا توجد في المدينة العربية الإسلامية حمامات تخص الجيش، أي حمامات عسكرية عامة. كما فعل الرومان في بصرى مثلاً، وفيها حمامان عامان أحدهما يقع جنوب قوس النصر والآخر شماله قرب المعسكر، مما يدعو للاعتقاد بأن أحدهما للسكان والآخر للجنود (٨٢).

وتلحق الحمامات أحياناً بالمنشآت الدينية والخدمية، لاسيما المشيدة من أجل البر والتقوى، وأقدمها حماماً أحمد ابن طولون الملحقان بمارستانه المبني في مصر عام (٢٦١هـ)



وكان أحدهما للرجال والآخر للنساء، ويذكر المقرئ أن ابن طولون قد حبس عليه بجانب الحمامين مبان كثيرة وشرط أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك^(٨٣). كما تلحق الحمامات في القصور والقلاع وأقدمها حمام قصر الاخضر المبنى على ارجح الاراء في القرن الثاني الهجري، وتخطيط هذا الحمام الذي ما يزال بحالة جيدة ثنائي يتكون من قاعتين أحدهما باردة والأخرى ساخنة.

وفي العصر الفاطمي أعدت بعض الحمامات لدار الوزارة كحمام (تتر) الذي بقي قائماً بخط دار الوزارة الكبرى بالقاهرة حتى القرن التاسع الهجري، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى أحد ممالك أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي استولى عليه بعد سقوط الدولة الفاطمية^(٨٤).

وخصصت بعض حمامات القاهرة في العصر الأيوبي للصوفية، لذلك فهي تعرف بهم كحمام (الصوفية) الذي كان قائماً بجوار الخانقاه الصلاحي، وقد أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي لصوفية الخانقاه واشترط أن لا يدخله يهودي ولا نصراني، وقد بقي هذا الحمام إلى عهد المقرئ (ت ٨٤٥هـ) ريعه جاري في أوقافهم^(٨٥). والقرار الذي اتخذه صلاح الدين يذكرنا بقرار الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي منع أهل الذمة من دخول الحمامات العامة في عاصمته سامراء^(٨٦). كما فرض المماليك في الشام على أهل الذمة شروط قاسية لدخول الحمامات العامة. إذ يذكر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في حوادث سنة (٧٥٥هـ) وكذلك في حوادث سنة (٧٦٥هـ)، انه صدر في دمشق قرار يلزم أهل الذمة بتصغير العمامات ومنعهم من ركوب الخيول أو البغال واقتصار ركوبهم على الحمير، وان يكون في رقابهم ورقاب نسائم في الحمامات أجراس، أو خاتم نحاس أصفر، أو رصاص، ولا تدخل نسائهم مع المسلمات الحمامات، وليكن لهن حمامات خاصة، وأن يكون أزار النصرانية من كتان أزرق، واليهودية من كتان أصفر وأن يكون أحد النعلين أسود مخالفاً للون الآخر^(٨٧). ويبدو أن أمر التشديد على أهل الذمة في دخول الحمامات الشامية استمر طويلاً. إذ يذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الاجراءات التي فرضها المماليك على أهل الذمة في سنة (٨٣٠هـ) ويقول "تودي على أهل الذمة أن يصغروا عمامتهم وأن لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن في عنقه جمل أو طوق حديد إلى أشياء كثيرة اخترعها المحتسب تبعاً لغيره، فضجوا من ذلك ورفعوا أمرهم إلى السلطان، فأحضر القضاة في ثالث عشر المحرم وسألهم ما يجب

عليهم! فتقر الحال أن لا يدخلوا الحمام إلا بخيط في رقبة ويكون فيه خاتم من حديد أو رصاص، وأن لا يتعرض لعمائهم الملونة كبرت أو صغرت، وأن نساءهم يتميزن من النساء المسلمات بشيء يكون قدر الكف أو أصغر من لون عمائ رجالهن؛ فصنع ذلك وكتب على أكابرهم والتزموا به^(٨٨).

وألحقت ببعض المجموعات الدينية الضخمة حمامات خصصت لخدمة أهلها والعامّة، مثل حمام (شيخو) وحمام (المؤيد شيخ) بالقاهرة^(٨٩). وحمام الأمير (قوصون) الذي بناه في عام (٧٣٦هـ) بجوار جامع الكائن داخل باب القرافة^(٩٠). أما المجموعات التي تخلو من هذه الخدمة فيصرف إلى طلابها مخصصات شهرية للاستحمام بالحمامات العامة. وقد يثبت ذلك في وثيقة الوقف كما فعل الناصر محمد بن قلاوون^(٩١).

وليس غريباً أن يكون الحمام مأوى لسكن العاملين فيه كالوقاد أو الزبال لمراقبة نيرانه عن كثر، لكن الغريب أن تصبح بعض الحمامات ملجأ لسكن الفقراء والمجذوبين ومنهم الشيخ يوسف الإقمني الذي أرخ لوفاته ابن كثير وكان يعرف بهذا اللقب لأنه كان يسكن إقمين حمام (نور الدين الشهيد) في دمشق، وقد مات في عام (٦٥٧هـ) ودفن بترتبه في سفح قاسيون^(٩٢).

وعلى الرغم من كراهية الفقهاء وتشدهم في حكم دخول المرأة الحمام بمسوغ " سد باب الذريعة إلى المفاصد"^(٩٣)، إلا أن ذلك لم يمنع المرأة في المدينة العربية الإسلامية من ارتياد الحمامات العامة واتخاذها أماكن للتزين والتجميل وقص الشعر أو تسريحه، فضلاً عن النظافة. والحقيقة أن أجمل المشاهد التي صورت المرأة في الحمامات العامة، خلصت إلينا من المنمنمات الإيرانية، إذ صور الفنان قاسم علي سنة (٨٩٩هـ) في مخطوط المنظومات الخمسة المحفوظة بالمتحف البريطاني صورة جميلة تمثل عدداً من النسوة يستحمّن في بركة حمام وهن يمزحن ويتجاذبن النزول إلى الماء، تطربهن عازفة تعزف الأنغام على عود. ولجعل الصورة أكثر حركة وإثارة رسم الفنان عينا غريبة ترقبهن خلصة من كوتي شرفة، وزين المكان ببعض الأشجار والزهور^(٩٤). (الصورة - ١) كما كان لحمامات الرجال نصيب في المنمنمات الإسلامية أيضاً، إذ تظهر صورة أخرى مختلفت الفعاليات التي تمارس



عادة في الحمام كالتدليك والحلاقة ونشر المناشف أو تعليق المآزر (الصورة ٢). وقد خلصت إلينا مجموعة من أدوات الاستحمام محفوظة بعدة متاحف (الصورة ٣).

والحمامات منذ العصر الروماني عرضة للرسم والزينة فأرضياتها تكتسى عادة بالفسيفساء أو الرخام وجدرانها تُحلى بصور نساء ومناظر جميلة تنفذ بالألوان المائية مثل الحمام الفاطمي المكتشف في سنة (١٩٣٢م) في جهة أبي السعود في جنوب القاهرة^(٩٥). وأحيانا تزين بتماثيل كحمام (أبي مره) بمصر وهو مخصص للنساء ويعرف بحمام زيان نسبة إلى مالكة زيان بن عبد العزيز، وكان به تمثال كُسر مع سائر التماثيل بأمر يزيد بن عبد الملك في سنة (١٠٤هـ)، وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني:

من كان في نفسه للبيض منزلةً فليأت أبيض في حمام زيان^(٩٦)

وربما ساهمت التماثيل المنزوعة من المدن القديمة في تجميل الحمامات فالمقري (ت ١٠٤١هـ) ذكر أنه عثر في أطلال طالقة الرومانية على تمثال جارية من المرمر تحتضن صبيا وتتنظر في ذعر إلى أفعى تقترب من ولدها، وقد وضع هذا التمثال في حمام (الشطارة) باشبيلية، وفيه يقول أبو تمام غالب بن رهاب الحجام:

ودمية مَرْمَرٍ تُرهِى بجيدٍ تنهى في التَّورْدُ والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا أَلَمْتُ بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حَجَرٌ، ولكن تتيمُّنُ بأحاطٍ مَرَضٍ^(٩٧)

ولا شك أن بقاء قسم كبير من الحمامات في المدن الإسلامية يعكس صور من مظاهر الحياة العامة في مختلف العصور، سواء تلك المشاهد التي أسبغتها روح القداسة المرتبطة بالعقيدة أم الموصولة بالعادات والتقاليد، وهي جزء من الموروث الشعبي.

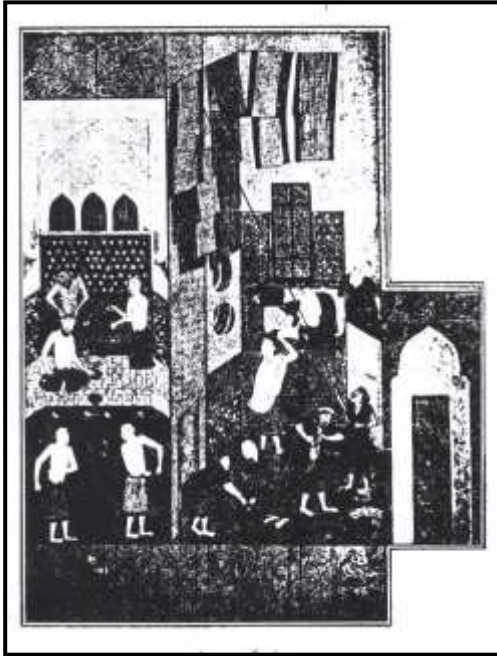
النتائج:

توصلت الدراسة الى نتائج يمكن حصرها بالنقاط الآتية:

- ١- ذكر أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الحمامات في المدينة العربية الإسلامية، ومنها الاستثمار بوصفها مؤسسات تدر على اصحابها أرباحاً كثيرة، لذلك لا غرو ان تأتي على راس المنشآت الخدمية التي تُحبس على المباني الدينية.
- ٢- طرائق ادارة الحمامات ومراقبة أدائها وتنظيم شؤونها كانت تجري بوساطة المحتسب، وتسير على وفق التوجيهات الصادرة من دار الخلافة.



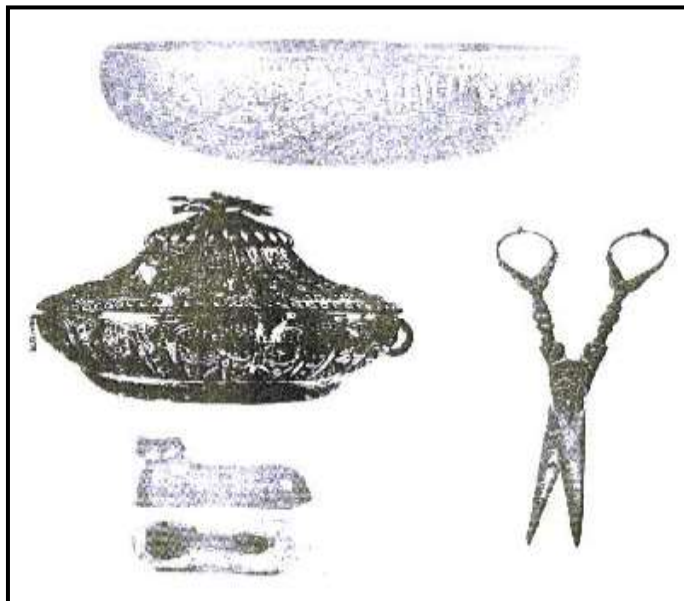
- ٣- وبشأن الوظيفة فلم تكن الحمامات مخصصة للاغتسال والنظافة فقط بل تعدتهما إلى الراحة والاستجمام والشعور ببهجة الحياة، فهي ملتقى الناس على اختلاف ثقافتهم سواء أكانوا من أهل المدينة أم غرباء يقضون فيها بعض الأوقات يتبادلون خلالها الأحاديث ويتناقلون الأخبار والأشعار، ويسمعون من بعض روادها الطرائف والفكاهات.
- ٤- أصبحت الحمامات في بعض البلدان العربية دور شفاء لمختلف الأمراض والعلل، لاسيما العلاجية منها التي توظف في استغلال المياه الكبريتية الساخنة لعلاج الأمراض الجلدية.
- ٥- طالما شهدت الحمامات حوادث غريبة منها السرقات، لاسيما الملابس والمناشف والأحذية أو النقود، ولم تكن حمامات النساء في منأى عن السرقات بل تتعدى أحيانا اللوازم والحاجات إلى الأطفال حديثي الولادة أو تبديلهم. وتصبح بعض الحمامات مسرحا للقتل والجرائم والغدر، وتصفية الخصوم السياسيين.
- ٦- لقد تطرق البحث الى بعض المشاهد التي صورت جانب من الحمامات العامة في المنمنمات الإسلامية، وكذلك الرسومات التي تزين ارضيات الحمامات وجدرانها، اذ تكسى عادة بالفسيفساء أو الرخام وجدرانها تُحلى بصور نساء ومناظر جميلة تنفذ بالألوان المائية.



(الصورة-٢) حمام في المنمنمات



الصورة-١) حمام في المنمنمات



(الصورة-٣) أدوات زينة اثرية خاصة بالحمام



الاحالات

^١ - جورج كونتنيو، الحياة اليومية في بابل واشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد الكريم، دار الحرية، بغداد (١٩٧٩م)، ص ١٢٣.

كاظم مجيد كاطع أليبيدي، العمارة الخدمية في الموصل في العصر العثماني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار (١٩٨٩م)، ص ٨٧.

^٢ - Robertson, D.S, Greek and Roman Architecture, Second Edition, Cambridge University, (1971-1974), P.P 258- 259

ثروت عكاشه، الفن الروماني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ت) ، ج ١٠م، ص ١٨٤.

^٣ - محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، مطبعة الرسالة، الكويت (١٩٨٨م)، ص ٢٤٨

^٤ - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) ج ١، ص ٤٧٢.

^٥ - ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩ هـ) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، مطبعة الاميرية، مصر (١٣١٠هـ - ١٨٩٤م) ج ٤، ص ١٠٥

^٦ - السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م)، ج ١، ص ١٣٥.

^٧ - البكري، أبو عبيد عبد الله (ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي (١٩٩٢م) ج ٢، ص ٨٢٩.

^٨ - ابن الاثير، عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م) ج ٨، ص ٣٧٨.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٨ - ١٩٨٨م)، ج ١٢، ص ١٣٦.

^٩ - ابن الجوزي، جمال الدين (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م)، ج ١٧، ص ٧٣.

^{١٠} - المقرئ، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ت)، ج ٢، ص ٥٤.



- ١١ - المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٢
- ١٢ - الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ)، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م)، ص ١٩.
- ١٣ - سورة الأنفال، جزء من الآية - ١١.
- ١٤ - الإمام مسلم، بن الحاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ج ١، ص ٢٠٤.
- الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ج ١، ص ٥١.
- ١٥ - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٢٤٦.
- ١٦ - البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، مطبعة السعادة، مصر (١٩٥٩م)، ص ٤٣٤.
- ١٧ - المقرئ، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر للطباعة، بيروت (د.ت). ج ١، ص ٣٣٠.
- ١٨ - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٨٣.
- ١٩ - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٩٣٩)، ج ١، ق ٣، ص ١٠٤٩.
- ٢٠ - جون فرانسيس ليون، من طرابلس ألي فزان مذكرات الرحالة الإنكليزي جون فرانسيس ليون ١٨١٨، نقله إلى العربية مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس (١٣٩٦-١٩٧٦)، ص ١٧.
- اشتهرت تونس بصناعة الصابون على مر العصور حيث كانت الدولة الحفصية تتولى صنعه وبيعه وتعاقد من يصنعه من الشعب بالسجن والغرامة حتى جاء أبو غارس عبد العزيز الذي ألغى احتكار الصابون وأباح للناس صنعه وجعله حراً. محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس (١٩٧٤) ص ١٨٢. وتذكر الأنسه تولي في إحدى رسائلها المؤرخة عام ١٧٩٢م إن الصابون لا يصنع في طرابلس بل يجلب في جرار من تونس، على الرغم من توافر النباتات الخاصة بصناعته، ومن أجل ذلك تصرف مبالغ هائلة سنوياً ثمناً للصابون المستهلك. ريشارد تولي، عشرة أعوام في طرابلس، ترجمة عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي (١٩٦٧)، ص ٤٥٤.
- ٢١ - المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٥.
- ٢٢ - المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٥.
- ٢٣ - المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٣٢١.
- ٢٤ - المصدر نفسه، ص ٣٩٠.



- ٢٥- حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة، أوراق شرقية، ط٢، بيروت (١٩٩٣م)، م١، ص١٤٣.
- ٢٦- المرجع نفسه، ص٢٠٧.
- ٢٧- ابن طولون، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ)، فكاهاة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة (١٣٤٨هـ-١٩٦٤م)، ج٢، ص٣٢.
- ٢٨- المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٣.
- ٢٩- المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٥.
- ٣٠- لم يكن نظام البلديات في العصر القرمانلي (١٧١١-١٨٣٥م) معروفاً، بل كان هناك مجلس استشاري يرأسه شخص معين من قبل والي أو الأمير يدعى (شيخ البلد)، من مهامه الإشراف على النظافة ومراقبة الأسواق والاتصال بأبناء الصناعات والحرف المختلفة وجباية الرسوم، ويمارس في الوقت نفسه سلطان الأمن للمحافظة على التقاليد والحريات الإسلامية، وأحياناً يكون بمثابة حاكم الصلح في القضايا التجارية البسيطة، ويتقاضى شيخ البلد مرتبه من خزينة الولاية ويعمل تحت إشراف والي مباشرة، علماً بأن نظام المشيخة استحدثه العثمانيون في ليبيا بعد سيطرتهم عام ١٥٥١م.
- بلدية طرابلس في مائة عام ١٢٨٦-١٣٩١هـ / ١٨٧٠-١٩٧٠م، شركة دار الطباعة الحديثة، طرابلس (١٩٧٢)، ص٢٩.
- ٣١- ابن جُلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة (١٩٥٥م)، ص٩٦.
- ٣٢- ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص١٣١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١ ص٢٠٨.
- ٣٣- الذهبي، شمس الدين (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج٢٦، ص٢٤٨.
- ٣٤- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ج٤، ص٨٣.
- ٣٥- المصدر نفسه، ج١٤، ص١٥٦.
- ٣٦- ابن طولون، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦، ١٣٨.
- ٣٧- ابن كثير، عماد الدين الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، بيروت و مكتبة النصر، الرياض، (١٩٦٦م)، ج١٣، ص٣٢٣.
- ٣٨- ابن طولون، المصدر السابق، ج١، ص٨٤.
- ٣٩- المصدر نفسه، ج١، ص١٣١.
- ٤٠- المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠.
- ٤١- المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٠.



- ٤٢- ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٤ ص ٩٩.
- ٤٣- يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ج ٦، ص ٢١٣.
- ٤٤- المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٤٥.
- ٤٥- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق عمار جحيدر، مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، حلب (٢٠٠١) ج ٢، ص ١٠٢، ١٦٩، ٥٤٨، ٦١٠، ٦٨٣، ٦٨٧، ٧٧٣، ٧٧٤.
- ٤٦- الشاشتي، أبو الحسن علي (ت ٣٨٨هـ)، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، ط ٢، بغداد (١٣٨٦-١٩٦٦)، ص ١٨٩.
- ٤٧- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية (١٩٨٥م) ص ٢٠٩.
- ٤٨- المرجع نفسه، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ٤٩- فاروق أحمد شعبان، عمارة حمام ضرغوث بطرابلس ليبيا بين الأسس الهندسية والجمالية، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة العاشرة (١٩٨٨ و)، ص ١٥٦.
- ٥٠- إسحاق بن الحسين المنجم (ت. القرن ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٦٠.
- ٥١- المقدسي البشاري، ابو القاسم (ت ٣٨٠هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار صادر بيروت، ١٩٩١، ص ١٦١.
- ٥٢- المصدر نفسه، ص ١٨٥.
- ٥٣- ابن حوقل، محمد النصيبي (ت ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨، ج ٢، ص ٣٤٠.
- ٥٤- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٣٦.
- ٥٥- القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٢٧٣.
- ٥٦- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج ٢، ص ٢٧٨.
- ٥٧- الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب السهيلة دار المغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨٥)، م ١، ص ٥٤٨.
- ٥٨- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج ٢، ص ٣٣٠.
- ٥٩- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤٥، ٧٩١.
- ٦٠- ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧، ج ٥، ص ٣٤٠.
- ٦١- ناهدة الطلحاني، استخدام مياه الينابيع المعدنية الطبية في التراث العراقي، الندوة القطرية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث، جامعة بغداد، (١٩٩٠)، ص ٤٠٦.



- ٦٢- الازدي، ابو زكريا (ت ٣٣٤هـ)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبه، القاهرة (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ج ٢، ص ٧٥.
- ٦٣- أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، كتاب الاعتبار، تحقيق فليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة، (١٩٣٠) ص ١٣٧.
- ٦٤- ابن طولون، فكاهاه الخلان في حوادث الزمان، ق ١، ص ٤٣.
- ٦٥- المصدر نفسه، ق ١، ص ٢٤٣.
- ٦٦- المصدر نفسه، ق ١، ص ٢٥٣.
- ٦٧- حمام الحموي: من أحسن حمامات دمشق وينسب إلى الأمير عز الدين أيبك الحموي، الذي انشأه بمسجد القصب وقد كملت عمارته في شوال عام ٦٩٤هـ. ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٣، ص ٣٣٩، ج ١٤، ص ٣٦.
- ٦٨- ابن طولون، المصدر السابق، ق ٢، ص ٣٢.
- ٦٩- المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٤١١-١٩٩١)، ج ٣، ص ٤٦٩.
- ٧٠- الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج ٤، ص ٦٢٥.
- ٧١- ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٤١.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٧.
- ٧٣- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٩٨.
- ٧٤- محمد عبد الغني حسن، ملامح من المجتمع العربي، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر (١٩٥١م) ص ٨٥.
- ٧٥- المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ق ٣، ص ٦٩٢.
- ٧٥- منير كيال، الحمامات الدمشقية وتقاليدها، دمشق، (١٩٦٦)، ص ٢١٥.
- ٧٦- ابن طولون، المصدر السابق، ق ١، ص ١٢٠.
- ٧٧- سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٨.
- ٧٨- الخطيب البغدادي، ج ١٤، ص ٣٩٨.
- ٧٩- ابن عذاري المراكشي (ت نحو ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٣، ص ٢٩٥.
- ٨٠- كاكيا، ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١، دار الفرجاني، طرابلس (١٣٩٥-١٩٧٥م)، ص ٢٧.
- ٨١- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج ٢، ص ٦٣٨.
- ٨٢- منير كيال، المرجع السابق، ص ٦.



- ^{٨٣} - المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٥.
- ^{٨٤} - المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠.
- ^{٨٥} - المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٥.
- ^{٨٦} - نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس، النجف (١٩٧١م)، ص ٥٨.
- ^{٨٧} - ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٤، ص ٢٥٠ و ٣٠٥.
- ^{٨٨} - بن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد (ت ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م)، ج ٣، ص ٣٨٢.
- ^{٨٩} - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٢٤٧.
- ^{٩٠} - المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، ق ١، ص ٣٩٠.
- ^{٩١} - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٢٤٧، ٢٨٦.
- ^{٩٢} - ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٣، ص ٢١٦، ٢٩٨.
- ^{٩٣} - ابن الحاج، أبو عبد الله العبدري (ت ٧٣٧هـ)، المدخل، المطبعة المصرية، مصر (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) ج ٢، ص ٤٤.
- ^{٩٤} - زكي محمد حسن، التصوير في الإسلام عند الفرس، دار الرائد العربي، بيروت (١٤٠١-١٩٨١)، ص ٥٣-٥٤، اللوحة ٢٩، الشكل ٢٨.
- ^{٩٥} - المرجع نفسه، ص ٢١، لوح ١.
- ^{٩٦} - الكندي، أبو عمر محمد (ت ٣٥٠هـ)، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨م)، ص ٧٢.
- ^{٩٧} - المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج ٢، ص ٧٣.
- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢١٣.